

أضواء البيان

@ 294 @ الاستفهام في قوله تعالى : { أَعَتَّخِذُ } للإنكار ، وهو مضمن معنى النفي ، أي : لا أعبد من دون الله معبودات ، إن أرادني الله بضر لا تقدر على دفعه عني ، ولا تقدر أن تنقذني من كرب . .

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من عدم فائدة المعبودات من دون الله جاء موضّحاً في آيات من كتاب الله تعالى ؛ كقوله تعالى : { قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مِمَّا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ } ، وقوله تعالى : { قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مَنَّ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا } ، وقوله تعالى : { قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مَنَّ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مَشْقَاقَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ } ، وقوله تعالى : { وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنذِرُونِ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } ، وقوله تعالى : { وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ } ، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة . . وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { لَا تَغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً } ، أي : لا شفاعه لهم أصلاً حتى تغني شيئاً ، ونحو هذا أسلوب عربي معروف ، ومنه قول امرئ القيس : وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { لَا تَغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً } ، أي : لا شفاعه لهم أصلاً حتى تغني شيئاً ، ونحو هذا أسلوب عربي معروف ، ومنه قول امرئ القيس : % (على لا حبّ لا يهتدي بمناره % إذا سافه العود النباطي جرجرا) % . فقله : لا يهتدي بمناره ، أي : لا منار له أصلاً حتى يهتدي به ، وقول الآخر : فقله : لا يهتدي بمناره ، أي : لا منار له أصلاً حتى يهتدي به ، وقول الآخر : % (لا تفزع الأرنب أهوالها % ولا ترى الضبّ بها ينجح) % .

أي : لا أرنب فيها ، حتى تفزعها أهوالها ، ولا ضبّ فيها حتى ينجح ، أي : يتخذ جرجراً . .

وهذا المعنى هو المعروف عند المنطقيين ، بقولهم : السالبة لا تقتضي وجود الموضوع ؛ كما تقدّم إيضاحه . { ياحسرة على العباد ما يأتّيهم من رسولٍ إلاّ كانواوا به يستهزءون } .

